الصاعقة الحادية عشرة: أغالبُ فيك الشوق والشوق أغلبُ(*)

أغالبُ فيك الشَّوقَ والشَّوقُ أغلَبُ ... وأعجبُ من ذا الهجرِ والوصلُ أعجبُ

أمـــا تغلطُ الأيامُ فيَّ بأنْ أرَى ... بغيضًا تنائي أو حبيبًا تُقرّبُ

ولله سَيْري ما أقَلّ تئيّةً ... عَشِيَّةَ شَرقيّ الحَدَالي وغُرَّبُ(١)

عَشِيةَ أحفى الناسِ بي من جفوتُهُ ... وأهدَى الطريقَينِ التي أتجنبُ(٢)

وكم لظلام الليل عندكَ من يدٍ ... تخبِّر أن المَانَويّةَ تكذِبُ(٣)

وَقَاكَ رَدَى الأعداء تسري إليهم ... وزَارَكَ فيه ذو الدّلالِ المحجّبُ

وَيَومٍ كَلَيلِ العَاشِقينَ كمَنتُهُ ... أُرَاقِبُ فيه الشّمسَ أيّانَ تَغرُبُ(٤)

وَعَيني إلى أُذنَي أغَرَّ كأنّهُ ... منَ الليلِ باقٍ بَينَ عينيْهِ كوكبُ

لهُ فَضلةٌ عن جسمِهِ في إهَابِهِ ... تجيءُ على صَدرٍ رَحيبٍ وتذهَبُ(٥)

شَقَقتُ بِهِ الظّلماءَ أُدني عِنَانَهُ ... فيَطغَى وأُرخيهِ مرارًا فيلعَبُ(٦)

وأصْرَعُ أي الوَحشِ قَفّيتُهُ بِهِ ... وأنزلُ عنه مثلهُ حين أركَبُ(٧)

(*) مناسبة القصيدة: يمدح بها كافور الأخشيدي. سنة ٣٤٠هـ.

(١) التئية: التوقف. الحدالي: موضع بالشام. غرب: جبل بالشام.

(٢) أحفى: أكرم.

(٣) اليد: النعمة.

(٤) كمنته: استترت فيه.

(٥) الإهاب: الحلية.

(٦) أدنى: أقرب. عنانه: سير لجامه. يطغى: ينشط.

(٧) قفيته: اتبعته.

ومَـا الخَـيلُ إلا كـالصّـديقِ قليلةٌ ... وإن كـثُـرَتْ في عَين من لا يجـرّبُ

إذا لم تُشاهِد غَيـرَ حُسنِ شِياتِهَا ... وأعضائِهَا فالحُسنُ عنكَ مُغيّبُ[1]

لحى الله ذي الدنيـا مناخًـا لراكبٍ ... فكُلُّ بَعيـدِ الهَمّ فيـهَـا مُـعَذَّبُ[2]

ألا ليت شعـري هَل أقولُ قصيدةً ... فَـلا أشـتَكي فـيـهـا ولا أتَعـتَّبُ

وبي مـا يَذودُ الشّـعـرَ عني أقَلُّهُ ... ولكِنّ قَلبي يا ابنَةَ القَـومِ قُلَّبُ[3]

وأخـلاقُ كـافـورٍ إذا شئتُ مَدحـهُ ... وإن لـم أشـأ تملي عليَّ وأكـتُبُ

إذا تـرك الإنسـان أهلاً وراءهُ ... ويمم كـافُـورًا فَـمَـا يَتَـغَـرّبُ

فـتى يملأُ الأفـعـالَ رأيًا وحكمـةً ... ونـادرةً أحـيَـانَ يرضَى ويغـضبُ

إذا ضربتْ في الحرب بالسيف كفُّه ... تبيّنتَ أن السيفَ بالكفِّ يضـربُ

تزيدُ عطاياهُ على اللبث كـثـرةً ... وتلبثُ أمـواه السّـحـاب فـتنضبُ

أبا المسك هل في الكأسِ فضلٌ أنالُه ... فـإنّي أغنّي منذ حينٍ وتشـرَبُ

وهبتَ على مـقـدارِ كـفَّيْ زَمـانِنَا ... ونفسي على مقدارِ كفَّيْك تطلُبُ

إذا لـم تنط بي ضـيـعـةً أو ولايةً ... فجُودُك يكسوني وشُغلُكَ يسلبُ[4]

يضـاحكُ في ذا العيـد كلٌّ حـبيبـهُ ... حـذائي وأبكي من أحب وأندُبُ

---

(١) الشياك الألوان.

(٢) لحا: قَبَّح. المناخ: المنزل.

(٣) يذود: يطرد ويدفع.

(٤) تنط: تعلق وتفوض.

أحنّ إلى أهلي وأهوى لقاءهُمْ ... وأين من المشتاقِ عنقاءُ مغربُ[١]

فإن لم يكن إلا أبو المسك أو هُمُ ... فإنك أحلى في فؤادي وأعذبُ

وكلُّ امرئٍ يولي الجَميلَ مُحَبّبٌ ... وكل مكان ينبتُ العِزَّ طيِّبُ

يريد بك الحُسّادُ ما الله دافعٌ ... وسمرُ العوالي والحديدُ المذرَّبُ[٢]

ودون الذي يبغون ما لو تخلّصُوا ... إلى الموتِ منه عشتَ والطفلُ أشيبُ

إذا طلبوا جدواك أعطوا وحُكِّموا ... وإن طلبوا الفضلَ الذي فيك خُيبوا[٣]

ولو جاز أن يحووا عُلاك وهَبتَهَا ... ولكن من الأشياءِ ما ليسَ يوهَبُ

وأظلمُ أهلِ الظُّلمِ من باتَ حاسِداً ... لمن باتَ في نعمائه يَتَقَلبُ

وأنتَ الذي ربيت ذا المُلكِ مُرضَعًا ... ولَيسَ لهُ أمٌّ سِواكَ ولا أبُ[٤]

وكنتَ له ليثَ العرين لشِبْلِه ... وما لكَ إلا الهِندُوَانيّ مِخلَبُ

لقيت القنا عنه بنفسٍ كريمةٍ ... إلى الموتِ في الهَيجا من العارِ تهرُبُ[٥]

وقد يتركُ النفس التي لا تهابُهُ ... ويَختَرِمُ النفسَ التي تَتَهيّبُ[٦]

وما عَدِمَ اللاقوك بأسًا وشدّةً ... ولكن من لاقَوا أشَدُّ وأنجَبُ

---

(١) العنقاء: طائر خرافي.

(٢) المذرب: المحدد.

(٣) الجدوى: العطية. حكموا: جعلوا الهم الحكم.

(٤) ذو الملك: ابن الإخشيد.

(٥) الهيجاء: الحرب.

(٦) يخترم: يهلك.

ثَناهم وبَرقُ البيض في البيض صَادقٌ عليهم وَبَرقُ البَيض في البيض خُلَّبُ[١]

سللتَ سيوفًا علّمتْ كل خاطبٍ على كل عودٍ كيف يدعو وَيخطُبُ[٢]

ويغنيك عما ينسبُ الناسُ أنهُ إليك تناهى المكرُماتُ وتنسَبُ

وأي قبيلٍ يستحِقُّكَ قدرُهُ معدٌّ بن عدنان فداك ويعربُ[٣]

وما طَربي لما رأيتُكَ بِدعَةً لقد كنتُ أرجُو أن أرَاكَ فأطرَبُ

وتعذُلُني فيكَ القَوافي وهِمَّتي كأني بمدح قَبلَ مَدحِكَ مُذنبُ

ولكنهُ طالَ الطَّريقُ ولم أزلْ أُفَتِّش عن هذا الكلامِ ويُنهَبُ

فشَرَّقَ حتى ليسَ للشَّرق مَشرِقٌ وغرَّب حتى ليس للغربِ مَغرِبُ

إذا قُلْتُهُ لم يمتنع من وُصُولِهِ جِدارٌ معلًّى أو خباءٌ مُطنّبُ[٤]

(١) ثناهم: ردهم. التبيض: الخوذ. الخلب: الكاذب الذي لا مطر فيه.

(٢) العود: العنبر.

(٣) القبيل: الجماعة.

(٤) الخباء: الخيمة. المطنب: المشدود بالأطناب.